قضية العصر (2)

الأكراد

التغير في النظرة النمطية الى الشعوب في تركيا

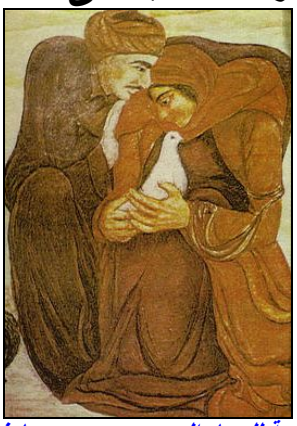

لوحة للرسام المرحوم د. محمد عارف

الدكتور توفيق آلتونجي

تمهيد:

تركيا لؤلؤة الشرق وبوابة العالم للولوج الى سحرها ، مياها الحارة، ثقافتها حضارتها وإنسانها. دولة غيرت لونها ،شكلها، حدودها، مياهها بحرها خليجها ورمالها ، ترابها، لغتها ،،حضارتها وثقافتها، دينها وعقائدها و أنظمتها السياسية ولكن بقى إنسانها خالدا كادحا عبر كل العصور. تركيا، اسم دولة حديثة أسست على أنقاض الإمبراطورية العثمانية وهي كتسمية جغرافية سياسية ليس إلا مصطلح غير قومي يدل على حدود دولة. كدولة تغير تسميتها عبر التاريخ واليوم تسمى بجمهورية تركيا. استوطنها الإنسان منذ فجر التاريخ وترى في حنايا أزقة مدنها ما تركه الإنسان وخط على حجرها أخبارهم وأتراحهم قوانينهم وأسلوب حياتهم آلامهم وصراعهم وحروبهم عقائدهم وخرافاتهم سحرهم ، أساطيرهم ومآسيهم وبنا كهوفا في جبالها وعلى على ثراها أسس أقدم مدن العالم.
تركيا تسكنها اليوم عدة قوميات غير متجانسة ولكن هناك دوما عاملا مشتركا يوحدهم جميعا تلك هي الآمال المشتركة والمصير والمستقبل المشترك في وطن موحد يمتد من نهايات قارة أوربا الى الجودي في كوردستان.

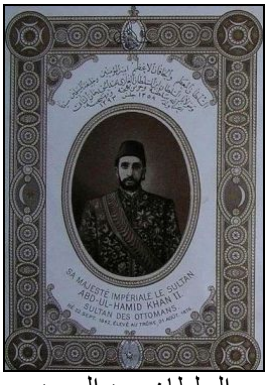

السلطان عبد الحميد

كنت قد كتبت سردا تاريخيا مختصرا عن المسالة الكوردية في تركيا في مادة سابقة نشرت وتحت نفس العنوان وسأستمر في سردي في مادتي هذا عليكم قارئي الكريم سأعالج جوانب اخرى من موضوع اسميته "قضية العصر في تركيا" ألا وهو موضوع التغير في النظرة النمطية للأمور عند عامة الناس وكيفية تجاوز سلبيات الماضي وبناء صرح المستقبل. كنت قد أشرت سابقا الى أهمية موضوع التغير في الرؤية النمطية عند البشر وتأثيرها على المسار التاريخي التطوري للشعوب.
اعتقد جازما ان التغيرات المستقبلية في تركيا جذرية من جميع الجوانب، تغيرات يجوز فيه إطلاق الخيال في عالم لا نهائي من التصورات من دولة احادي القومية والفكر الى التعددية دولة عضوه في اتحاد يشمل معظم دول أوربا (الاتحاد الأوربي) يمثل قوة اقتصادية عالمية تؤمن بالحوار والصراع الحضاري السلمي بين الأمم.

لقد وصلني العديد من الرسائل والمكالمات الهاتفية حول الموضوع وكان السؤال الذي طرحه الجميع يتعلق بالمقولة التي بدأت بها مادتي حول ما ذكرته من مقولة مؤسس الدولة التركية الحديثة مصطفى كمال أتاتورك عن الأكراد في خطاباته. رغم التحفظات الكثيرة حول شخصية مؤسس الدولة التركية وطريقة حكمه والأساليب التي اتبعها فان الحقائق التاريخية لا يمكن إغفالها. الظاهر ان تسارع الأحداث التاريخية في المنطقة أدى الى إغفال العديد من الحقائق التاريخية المرتبطة بالعلاقة بين أبناء النسيج السكاني لدولة تركيا. ساترك الموضوع في كتابتي هذه جانبا داعيا المتخصصين في التاريخ الحديث الدلو بدلوهم والبحث والتحليل حول موضوع مهم يدور حول العلاقة بين أبناء شعوب المنطقة خاصة ان الوقت ملائم الآن لوجود توجهات سلمية حوارية حول الانفتاح في تركيا اليوم وتحت قيادة تيار فكري إسلامي المبدأ تنويري معتدل يقودها السيد رجب طيب اردوغان الذي يتزعم حزب العدالة والتنمية (آك). تلك التوجهات السلمية الحضارية كانت من نتائجها الانفتاح على الأرمن من ناحية ومحاولة جادة لإعادة قراءة صفحات التاريخ التركي المعاصر خاصة ما يخص علاقات الدولة والسلطة مع أبناء الشعوب الغير تركية في دولة تركيا من ناحية ومن ناحية اخرى التوجه الى جميع دول المنطقة المسلمة ودول القفقاس لبناء جسر من العلاقات المتوازنة والتي ستساهم في تعزيز السلام والأمن والاستقرار في المنطقة بأسرها.

آثار أمم عاشت وسادت في تركيا عبر العصور

ان توجهات السلمية لحزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا معروفة جدا في تاريخ تطور الفكر الإسلامي المعتدل في تركيا. لكن الجديد في تلك التوجهات هي مواكبتها للتطورات الفكرية العالمية المعاصرة و الموازنة بين العلاقات بين الشرق والغرب كي تتحول تركيا الى جسر محبة يقرب توجهات الفكرية المعتدلة بين الشرق والغرب. ان كل تلك التوجهات ستساهم في بناء قنوات اتصال من الثقة المتبادلة وتساهم في تنمية المنطقة جالبا الرخاء للجميع في عالم يسوده الأزمات والمشاحنات والمنافسات.

التغير والإصلاح:

لكي نتمكن من ان نصلح الأمور يجب ان نبدأ بإصلاح النفس أولا . لنغير أفكارنا ونقبل بوجود صورة اخرى غير تلك التي تعودنا على رؤيتها واعتبرناها بديهية مقبولة وحتى مطلقة رافضين وجود الصورة الأخرى والمختلفة. ان التغير يبدا بالنفس يقول البارئ عز وجل في كتابه الحكيم:

"إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ"

هذا النص السماوي المقدس يكاد ان يكون أساس الوحيد في بناء مبدأ علم النفس اليوم. حيث يعتبر التغير في الفكر الإنساني العامل الأهم في التطور وبناء النفس . ان البشر يرون الأشياء على صورة نمطية معينة وبديهية ويحاولون الدفاع عن تلك الصورة. هذا الدفاع يؤدي في العديد من الأحيان الى رفض وجود الآخر المختلف والغير ملائم للصورة النمطية المعروفة عند الإنسان. المقبول عند شعب ما وثقافة معينة ليس بالضرورة ان يكون له نفس القبول عند قوم اخر. هذا الرفض هو العامل المقرر لحدوث مشاكل النزاعات والخصام والتي تؤدي الى الحروب بين الأمم. حتى ان الأحزاب السياسية ترى الأمور وهي تخطط لبناء أسسها الفكرية صور نمطية جاهزة. يدافع المنتمين الى تلك الأحزاب بالغالي والنفيس من اجل ان يقبل الآخرون بفكرهم وينتمون الى أحزابهم كي يروا الأمور من نفس الزاوية و المنظار. الغريب في كل ذلك هو الخاصية المطلقة للحقيقة عند هؤلاء. كل شئ مغاير للصورة التي يتصورون فيها العالم مرفوض تماما. نرى ان التجمعات البشرية المختلفة تجتمع على نمط معين من السلوك البشري. انظر الى الأحزاب السياسية التي تصفق فقط لمن تسير في مسارها وترفض كل فكر معارض دون وجود حوار متبادل مع المعارض والاستماع الى وجهة نظر الاخر المختلف للوصول الى الأفضل من الحلول.

حدثني احد أساتذتي في علم النفس انه كان في زيارة ل مصر والتقي بالعيد من المصريين فأحبهم وأحب معاشرتهم. لكن في احد زياراته لأحد العوائل المصرية تساءلت سيدة البيت ما اذا كان الرجل مسلما. فرد صاحبنا بأنه غير متدين فتعجبت السيدة قائلة هل هناك بشر لا يؤمنون با لله وبرسوله. وأفردت قائلة اني لا افهم كيف لا يختار الجميع الإسلام دينا أوليس الإسلام آخر الأديان وأفضلها.

ان صورة العالم لهذه السيدة الجليلة ليست مطابقة للعالم فهناك مليارات من البشر لهم عقائد خاصة بهم وليست حتى تلك العقائد أديان سماوية.
مقدمتي هذه مهمة جدا في سياق مادتي التي أعالجها خاصة اليوم خاصة اذا علمنا ان لم يحصل تغير عند البشر فان الاتفاقيات والعهود والقوانين كلها تبقى حبرا على ورق. لذا يجب ان يغير الناس أنفسهم وتكون تلك الاتفاقيات انعكاسا لأفكارهم وليس فرضا عليهم. ان تغير الناس لأفكارهم وبسرعة خاطفة يعني بأنهم لم يكونوا مقتنعين أصلا بأفكارهم السابقة. وربما كانوا قد اجبروا على ترديدها. نرى ان هناك في عالمنا اليوم العديد من التجارب خاصة في عالم السياسة عندما تغيرت أنظمة سياساتها يغير الناس في اليوم التالي توجهاتهم ب 180 درجة. نرى كذلك بان العديد يتوجهون الى فكر مخالف ومعاكس لما كانوا ينادونه يوم أمس ويتحولون في يوم وضحاها الى اشد المتشددين وحتى الى درجات التطرف.
ان التغيرات التي شهدتها الساحة السياسية التركية والانفتاح على أبناء الشعوب الغير تركية في تركيا ايجابية جدا ولكن نرى ان العيد من الممارسات على الصعيد الشعبي والرسمي لا يزال مستمرا على النظرة القديمة ولم يصلها رياح التغير. الى درجة قد نسمع بمحاكمة هذا او ذاك لأنه تحدث بالكردية او غنى بالارمنية وربما كتب بلغة اخرى. تلك الممارسات التي تشير ان التغير لم يتم جذريا ولم يصل الى واقع الناس وهم لا يزالون يرون الأرض مسطحة.

ان التغير يجب ان ينال أبناء الشعوب الأخرى كذلك أي ان جميع الأطراف يجب ان يتعاملوا مع التغير. حيث نرى ان كلمة "العدو- دوشمن" تستخدم بصورة موسعة عند الذين يحملون أفكارا قومية عدوانية وفي جميع الخنادق. ان وصف الأتراك او الفرس بالأعداء من قبل الأكراد غير مقبول والعكس صحيح. كما هو غير مقبول ان يكنى شعب بأكمله بالعدو لمجرد وجود حساسيات وعدم وجود صورة لقناعات مشتركة بين مجموعتين او حزبين سياسيين. لا يمكن حتى بناء مجتمعات مفتوحة سلمية التوجه إذا كان هناك من يستخدم تلك العبارات العدوانية في الإعلام المرئي والمكتوب والمسموع والانترنت و وسائل الاتصالات المتعددة الأخرى.
إذن قارئي الكريم ان تغير الصورة النمطية يتم بتوازن وتزامن عند كافة الإطراف.

التغير من الدرجة الثانية:

التغير عند البشر يتم على أشكال مختلفة ولكن الأهم هوان يكون التغير جذريا. التغير الجذري، كما حصل عند المسلمين الأوائل أي التحول من الكفر الى الأيمان، وذلك يعتبر تغيرا تطوريا وحقيقا وراسخا. التغيرات التي تحصل في تركيا اليوم يعتبر تغيرات تنظيمية وهيكلية في اغلب الأحيان. ان تغير القوانين وفقرت في الدستور لا يعني مطلقا بان الناس سيغيرون توجهاتهم وسلوكهم في اليوم التالي. ان التغير الذي يعتبر جوهريا هو تغير جذري أساسي يعود بالمرء الى المربع الاول ليحاكم فكره و بقناعة كاملة ويرفضها جملة وتفصيلا. هذا الرفض للقديم يحل مكانه الجديد دون العودة الى الوراء ونبش الماضي. هذا ما حصل مثلا في تغير فقرات من الدستور التركي والتي كانت تسن على رفض وجود قوميات اخرى في تركيا معتبرا كل مواطن يعيش في تركيا من القومية التركية. هذا التغير يعتبر من الدرجة الثانية يلغي القديم الرجعي والمتخلف الى فكر جديد يقبل بوجود الآخر ويعطي حق المواطنة لهم جميعا دون أي تفريق.
ناهيك عن هذا نرى بان هناك ضحايا الفكر الشمولي القومي. هؤلاء الذين تم تتريكهم بالكامل ولا ينتمون الى القومية الكوردية او الارمنية او حتى العربية او السريانية اليوم ثقافة او حسا بل انصهروا تماما والغي هويتهم القومية كاملة. رغم ان أصولهم الحقيقية وهويتهم القومية غير تركية. كنت قد ذكرت أسماء العديد من الشخصيات التركية التي تعود أصولها الى الاكراد في مادتي السابقة.
كي اقرب الصورة للقارئ الكريم اذكر بعض الأمثلة من الحوادث التاريخية المهمة والتي غيرت مسار التاريخ:
عندما كانت قلعة "هوغوسترفيس" في "كرنتن" تحت الحصار وكان قائد الحامية في القلعة يعرف بان الطريق الى استسلام الجميع هو تجويعهم وإجبارهم بعد فترة من الزمن على الاستسلام والخضوع. ذلك لان من المستحيل للجيش المحاصر بلوغ القلعة والحامية الواقعة فوق الجبل الوعر. عندما وصلت الأمور الى حافة الهاوية في القلعة المحاصرة وانتهى مئونة الحامية وبقت بقرة واحدة وبعض الدقيق وبدا اليأس يدخل قلوب أفراد الجيش والسكان المدنيين قرر قائد الحامية اتخاذ قرار مهم وحاسم. هناك لحظات تاريخية يجب ان يتخذ فيها قرارات حاسمة لتغير مجرى التاريخ وهكذا قرر القائد إجراء حفل كبير لقواته يتم فيها الغناء والطرب وبأعلى الأصوات كي يسمع ضجيج وموسيقى المحتفلين هناك في الأسفل عند الرابية وليسمعها القوات المعادية المحاصرة للقلعة. وهكذا تم ذلك ولكن الغريب في القرار كان ان يتم نحر البقرة الوحيدة الباقية وحشو بطنها بالدقيق الباقي ورميها من أعلى الجبل ابتهاجا.
هذا القرار اليائس يعني الموت من الجوع بالنسبة للحامية وسكانها ولكن العدو المتربص لم يعرف الكثير عن احوالهم ولن يفكر في ذلك. ما كان من العدو الا ان ترك المكان ورحل بأدراجه عائدا بعد ان أمرهم قائدهم قائلا:
- بعد كل سنين الحصار انهم يحتفلون ويبتهجون ويرمون لنا بالطعام هيا بنا نعود أدراجنا الى بلادنا.
بذلك نجت الحامية والقلعة وسكانها من السقوط بيد الأعداء. بالطبع ان قرار القائد من الدرجة الثانية وغير متوقع تماما كما حصل عندما فتح محمد الفاتح القسطنطينية ونقل مراكبه محملا الى البر خلف خطوط الأعداء فجاءت المفاجأة الغير

متوقعة للروم البيزنطينين. كما نرى ان الدولة العلية العثمانية حاولت في أواخر أيامها إظهار غنائها وإخفاء إفلاسها عن طريق دعوة ممثلي الدول الأجنبية الى حفلة عشاء يمر الضيوف في أروقة القصر يحيطهم قوارير مليئة بالليرة الذهبية العثمانية. في حين كانت تلك القوارير معظمها مليئة بالرمال ومغطاة بالذهب.
هناك العديد من الحوادث التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ وتغير وجه الحضارة الإنسانية.

كان والدي رحمة الله عليه ورضوانه معمما كما كان عليه معظم الملالي في كركوك وشاءت الأقدار ان يتم مصادرة منطقة سكنانا وتحويلها الى منطقة عسكرية اثر عملية نهب كبيرة للأكراد كركوك تم تخطيطها وتنفيذها من قبل السلطة الحاكمة فتركنا على أثرها مدينة العذابات كركوك بعد سنين متوجهين الى بغداد العاصمة عام 1968 .
فما كان بوالدي الا وهجر العمامة الى يوم وفاته. ان ذلك التغير في الملبس والشكل كان مهما جدا لاستمرارية في العمل في ظروف مجتمع جديد في العاصمة. الغريب ان مجتمع كركوك المحافظ كان ولسنوات قد قبل وجود احد المضمدين من أصول تركية يعمل ختانا للصبيان يحمل حقيبة الأطباء ويدور في محلات المدينة وقد خط على حقيبته عبارة:الختان المجاز السيد جميل. لكن هيئته لم يكن كهيئة السادة او رجال الدين بل كان يرتدي الملابس المدنية شاهد العامة فيه شخصا جديا يخالف الأعراف ولكنه مقبول فزاد شعبيته. هذا النموذج من البشر موجود في تركيا حيث ان رجال الدين وطلبة المدارس الدينية يعيشون بنفس الأسلوب الذي يعيشه عامة الناس خلافا لما نراه في ايران والعراق مثلا.

ان التغير الذي يعني شطب القديم ومسح الماضي وفتح صفحة جديدة بيضاء هو تغير من الدرجة الثانية بينما إجراء تغيرات طفيفة هيكلية والسير في نفس المسار لا يؤدي قطعا الى تغير جوهري.

الزى الكوردي الشعبي الذي انتشر مع إعلان الحادي عشر من اذار عام 1970 في بغداد آذانا بحصول تغير في الصورة النمطية لأبناء العراق
الصورة لمصور جريدة التآخي لحفلة بمناسبة الاحتفالات بآذار في صدر القناة ببغداد، في الصورة المطرب جالاك رفيق جالاك.

رغم ان الدين الإسلامي الحنيف ألغى التفرقة القومية والتنابز بالألقاب داعيا الى المساواة في الإنسانية والتوحد في الإسلام، كأسنان المشط. لكننا نرى ان الانتماء الى القوم بقى عاملا أساسيا في الأعراف فبقى الانتماء الى قريش والبيت الهاشمي والانتماء الى منطقة معينة ك الحبشة واليمن والشام والروم كقوم والفارسي والنوبي والانتماء الى الأقوام في الجزيرة والقبيلة جاريا و سار عليه المجتمع الإسلامي الى يومنا هذا يقول الذكر الحكيم:
"يأيُّهَا ٱلنَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ"
الاختلاف خير للناس فهناك الأفريقي والصيني والأوربي والهندي وشعوب مختلفة. ان الفكر القومي السلطوي حاول جاهدا إلغاء الانتماء القومي للشعوب الأخرى أينما طبق ذلك الفكر. إلغاء وجود الآخر او النظرة التهميشيه المتعالية للشعوب الاخرى والفخر بالانتماء الى قوم معين كان ولا يزال خبز القوميين أينما تواجدوا. هؤلاء لا يغيرون نظرتهم النمطية

بسهولة ولا يقبلون وجود الآخر المختلف والاسوء من ذلك حين نرى نفس السلوك في الجهة المقابلة بين حملة نفس الفكر القومي السلبي في الخندق المخالف. كان الفكر النازي الألماني والفاشي الايطالي واليوناني والاسباني والتركي والعربي والفارسي يرى في الانتماء الى شعوب الإمبراطوريات القديمة فخرا وتعاليا. بينما وجد الفكر القومي النازي في العنصر الجرماني رقيا وعلوا على كافة شعوب كافة المعمورة. هذا الفكر وجد اذنا صاغيا وصدى عند القوميين الترك والفرس والعرب والأكراد والشعوب الاخرى.
نجد تطبيقا لهذا الفكر القومي السلبي في العراق إبان العهد البعثي المقبور المباد حين كان يجبر الناس على الانتماء للحزب ويعتبر كل العراقيين بعثيين حتى لو ينتموا الى الحزب. تصور قارئي الكريم ان يكون المسئول الحزبي كورديا ولا يجيد حتى العربية لكنه يجب عليه ان يبشر بمبادئ حزب يدعي بوجود أمه عربية واحدة ولها رسالة خالدة ويثقف مناصري الحزب بالمبادئ القومية العربية. كيف يكون حال هذا الإنسان عندما يلتقي في بيته أبناءه الذين بالكاد يتكلمون العربية لبشر بمبادئ الحزب لهم. هذا التطبيق وجد له أرضية في تركيا كذلك وبدا الكوردي بالادعاء انتماءه الى الشعب التركي واجبر التلاميذ في عموم كوردستان بترديد شعارات وأناشيد يفتخرون بكونهم ينتمون الى الأتراك. هذا الانفصام في الشخصية الكوردية مهمة جدا في عملية التغير في المستقبل.

التغير حالة مستمرة ودائمة:

التغير والتحديث والإصلاح يتم أحيانا على مراحل ولكن الإنسان يرفض الجديد في أول الأمر. البعض منا يقبل التغير بسرعة بينما يبقى الآخرون مترديين وآخرون يتجمعون في خندق المعارضة محاولين اعادة عقارب الساعة ناشرين بين الناس كل ما هو سابي حول التغير المنوي إجراءه. تركيا شاهدت تغيرت مهمة في تاريخها المعاصر خاصة تحولها من إمبراطورية واسعة كانت تشمل أجزاء من آسيا وأفريقيا وأوربا الى دولة صغيرة محدودة الموارد والسلطة.
كي يتم التغير يجب ان يتم الإجابة على سؤال مهم الا وهو لماذا يجب ان نتغير؟ والا لا يتم التغير...
إذن كيف يجب ان تكون الأمور كي يتم التغير؟
الأكراد شعب دخل الإسلام منذ فجر انتشار نور الدين الحنيف في ربوع الرافدين بعد معركة القادسية وانكسار كسرى وإمبراطوريته. شارك الكورد جنبا الى جنب مع الشعوب الإسلامية الأخرى في رفع راية الإسلام ونشر مبادئ دين الحق في كافة أنحاء الدنيا. أقدم ها هنا نموذجا لعملية التغير في تركيا حيث يمكن تعداد المئات من البرامج التغيرية.

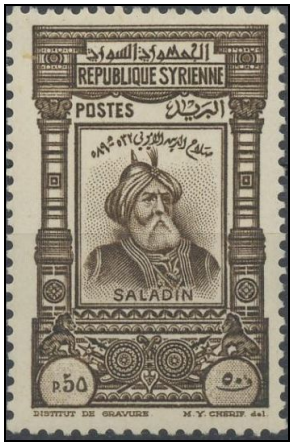

الصورة الحالية لشرق تركيا:
شعب يعيش في وطنه منذ فجر التاريخ شارك في أداء واجباته تجاه وطنه يحرم من كافة أساليب التطور الحديثة ومن التطور الثقافي والعمراني والعلمي - التكنولوجي ويحرم حتى من المقومات الأساسية للحياة والبنية التحتية ووسائل العيش الكريم.
الصورة التغيرية:
كل ما هو متوفر في مدن غرب تركيا من تطور حضاري وعمراني واقتصادي وصناعي وبنية تحتية ووسائل العيش الكريم ينتقل في برنامج محدد الى الشرق التركي الذي يجب ان يعامل بنفس المقاييس.
اذن تتغير الصورة بالكامل من منطقة يطلق عليها اليوم ب "المحرومة" محروميت بولكسي" ، هناك العديد من المصطلحات التي تكنى بها المنطقة لتخلفها عن ركب الحضارة وانتشار الأمية والبطالة والعوز والفقر بين أبنائها، الى جزء من تركيا يعامل فيها الإنسان والبيئة على قدم المساواة كما يعامل عليه المواطنين في الأرجاء الأخرى من البلاد دون أي فرق او تميز.

يمكن إجراء مقارنة مطولة وتفصيلية قارئي الكريم بين الحالة الحالية لعموم المنطقة و الحالة التغيرية المطلوبة الجديدة ومن كافة النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والعسكرية الأمنية وتركيب مؤسسات الدولة والمؤسسة التعليمية التي يجب ان يكون عليها في المستقبل. هذا بالإضافة الى تغير جوهري فيما يخص القوانين السائدة في البلاد وتطبيقها على جميع المواطنين والمساواة بينهم امام القانون وفرض القضاء المستقل والبعيد عن هيمنة الحكم والسلطة والعسكر والمؤسسة الأمنية.
ان مجرد الدعوة الى حل سلمي عادل وشامل والاستمرار في تلك الدعوة والعمل بإخلاص في سبيل تطبيقه يغير في فكر الناس وسلوكهم. اما التردد والرجوع او العودة الى الأساليب القديمة قد يؤدي الى فقدان الناس بالثقة بالدولة والسلطة. بينما يقدم للطرف الاخر الذريعة في الاستمرار في سياساته .
ان الساسة المنتمين الى حزب السيد اردوغان حزب العدالة والتنمية جديرون بالثقة وان نواياهم لصادقة في نشر الأمن والسلام في البلاد وتطبيق العدالة التي دعى إليها الدين الإسلامي الحنيف. رغم وجود قوى سياسية اخرى تعبد الطريق وتنشر الرعب بين المواطنين داعيا الى إعلاء راية العنف والشدة وعدم الجلوس الى طاولة المباحثات والحوار وساترك القاري النبيه معرفة من اعني بهم.
بالطبع ان أي مؤسسة عسكرية تبني أسهها العقائدية والتطبيقية على القوة واستخدام العنف والسلاح في فرض السيطرة والنفوذ على الآخرين شيء طبيعي في عالمنا المعاصر. ان الجيش يدرب ويسلح كي يأتي يوما ليحاربوا من يسمون الأعداء أو كي يحافظوا على الدولة ومؤسساتها. لكننا يجب ان نغير نظرتنا الى الجيش في العالم المعاصر والى سبب وجوده. ان الجيش الذي لا يوجد له أي مبرر واقعي لا عدة ولا عددا يكون عالة على المجتمع. نرى ان القوى التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية فرضت على أعدائها تحديد عدد قواتها العسكرية ونوع معداتها في عملية وقائية كي لا يتكرر ماسي الماضي.
ان الجيش التركي والقوات المسلحة بحاجة الى تغير واقعي ملموس وإصلاح كلي بما يساير مسيرة العملية التغيرية الجارية في الفكر السياسي التركي من ناحية ومن ناحية اخرى مجارات مع الأفكار الدفاعية لأعضاء دول الاتحاد الأوربي. ان الاكراد لم ولن يكونوا يوما ما عدوة لدولة تركيا فهم مواطنين مخلصين لوطنهم ولوحدة ترابهم. هذا المبدأ الأخير يمكن تعميمه في كافة الدول التي تتواجد اجزاء من كوردستان. المثال الحي هو إقليم كوردستان العراق فوحدة التراب العراقي احد ثوابت معظم الأحزاب السياسية الكوردية المتواجدة على الساحة السياسية في الإقليم مع وجود استثناءات يؤكد صحة القاعدة العامة.

المستقبل من منظور تغيري:

تركيا دولة موحدة وجسر بين الشرق والغرب لا بل جسر يقود الى التمدن والحضارة بين كافة دول المنطقة. تركيا يعمل إنسانها ، في كل أرجاء الوطن، ذلك الكادح المكابد والمثابر بكل همة وبجد وثبات وعزيمة كخلية النحل. لذا فهي مؤهلة دوما بالبقاء والاستمرار. ان قابلية مواطني تركيا بالتغير والتعود على الأنماط الجديدة للحياة مضرب مثل للعالم اجمع.
يبقى ان نعلم نحن اليوم نعيش في عالم العولمة، عالم لا يعترف بالحدود والحواجز يجلس صغيري" قيصر" ويخاطب عبر جهاز الكومبيوتر اقرانه ليل نهار أينما تواجدوا بلغة ، غير قومية، اخترعوها لا نجيد مفرداتها بل تراهم يستخدمون الرموز والصور في التخاطب. رفعوا كل الحواجز في التواصل يجتمعون معا من كافة أنحاء الدنيا ليجروا المباريات وليلعبوا معا وليتبادلوا العلوم والمعلومات ويتخاصموا او ليتعارفوا دون ان يبدلوا من مكانهم قيد أنبله. عالم جديد قارئي الكريم لا يقبل المستحيل عالم يفتح الآفاق الى خلق جيل جديد لا يعترف بمقاييس القومية الضيقة وبالعنصرية والتميز بين الناس لانتمائهم العقائدي والثقافي والاثني. عالم الغد عالم هؤلاء ممن يخاطبون الآخرين من أقرانهم بدون وجود سلطة او رقيب و دون وجود قانون يمنعهم من الحديث بلغتهم او يمنعهم من لبس ملابس معينة. عالم الغد والمستقبل قارئ الكريم يرفض الحدود حواجز .
أطفالنا يلبسون ملابس تحمل نفس العلامات والشعارات، أحذية تحمل نفس الماركات، يأكلون أغذية يتناولونها في نفس المطاعم المنتشرة في كافة أرجاء الدنيا. عالم جديد فيها المساواة حقيقة لا يعرف شكل البشرة والانتماء الى الطبقة الاجتماعية او قوم حدود كلنا سواسية يختفي كلمة لماذا؟ والسؤال عن الأسباب والمسببات.....
الإجابة سهلة جدا فهي تتمركز في عقول أطفالنا حيث رفعوا الحواجز والحدود الغوا الاختلاف فباتوا يفكرون أحرارا.

السويد
20091101
altonchi@gmail.com